دلالة نحوية وأثرها في كتاب "تحفة الأحوذي شرح الترمذي" لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري

رقية أختر*

Abstract

Syntactical semantics and its impact on tuḥfaẗ al-āaḥwaḏī a commentary of tirmiḏī by Abdur–Rehman al Mubarakpuri (1353A.H)

Ruqayya Akhter*

This ariticle aims to explain Syntactical semantics and its impact on tuḥfaẗ al-āaḥwaḏī a commentary of tirmiḏī by Abdur–Rehman al Mubarakpuri (1353A.H). he was a great Indian scholar particularly in the field of Hadith and its sciences,the book tuḥfaẗ al-āaḥwaḏī is a well known commentary and living proof of the expertise of Mubarak poori in the said field. The author wrote an intellectual and useful introduction of Sunan tirmiḏī and the rules applied by imam tirmiḏī in the narration of Prophetic tradition, likewise, he has explained the worth of sunan tirmiḏī in the field of Hadith. The method of abdur Rahman Mubarakpuri in this commentary is that he mentions the differences of different school of thoughts of Arabic grammarians in grammatical issues along with preferred opinion, for example he describes first the opinions and intellectual basis of kūfiyin , baṣriyin etc, then he discussed in detail the merits and demerits and gives preference to one of them.

Keywords: hadith, syntactical, tuḥfaẗ al-āaḥwaḏī,

---

* طالبة الدكتوراه في اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان.

* Ph.D. Scholar, Faculty of Arabic, International Islamic University Islamabad.

DOI: https://doi.org/10.52541/adal.v56i02.955

Summary of the Article

He grew up in the village of Mubarak pur, memorized the Holy Quran, and obtained knowledge in different disciplines from his father, for example, he read booklets in different languages Urdu and Persian, furthermore, read Persian literature, ethics etc.

He also studied books of language and Islamic jurisprudence from linguists and jurists, including Sheikh Al-Kabir Hussam al-Din and Fayyad al-Din, likewise, he travelled to other cities and countries for getting knowledge in different fields, such as: he read books of grammar of Arabic Language and Philosophy with 'Sheikh Salama allah al-Jiraj'.

He then returned to Delhi, and he stayed with Sheikh Nazir Hussain and Qazi Muhammad Abdul Aziz Jafferi as a student in the field of Hadith.

Sheikh Mubarakpuri remained associated with the field of teaching for a long time, after which he turned his attention to writing of books. Here are some of his most popular books:

1: abkār al-manan fī tanqīd aṯhār al-sunan.
2: taḥqīq al-kalām fī wujūb al-qirāʾaẗ kẖalf al-imām.
3: kẖaīr al-māʿūn fī manʿ al-firār min al-ṭāʿūn.
4: al-qaūl al-sadīd fīmā īatʿalq bitakbīrāt al-ʿīd.

Sheikh died in the year 1935 in his village Mubarakpur due to heart attack.

The importance of this study stems from its research in grammatical significance and the literary aspects related to the noble Hadiths that were included in the book. These aspects have an impact on the direction of the texts and the understanding of their meanings. That Sheikh Abdul Rahman Al-Mubarak Al-Mubarkouri is one of the important figure in the Indian subcontinent, who played a major role in the development of Islamic literature, linguistic sciences and the Prophet's Hadith, so, it became a research topic revealing its semantic production. As for the topic of this research, I have extracted the view of the Mubarakpuri, and his efforts in the Arabic language. The book under discussion tuḥfaẗ al-āaḥwaḏī includes ten volumes and full of grammatical and contextual dialects. It is not possible here to enumerate the subjects in which the "grammatical significance" So I will just mention some of them and some of the example of the syntactical semantics in tuḥfaẗ al-āaḥwaḏī.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه

أجمعين، أمّا بعد:

فتدور هذه المقالة حول "الدلالة النحويه وأثرها في تحفة الأحوذي شرح الترمذي". فلا شك أن المباركفوري شخصية علمية تتميز بالاضطلاع في ابتكار معاني الأحاديث النبوية، وهذا الشرح من أنفع الشروح المتداولة الآن، وهو في أوَّله أجود من آخره، جعل له مقدمة في جزأين، ومما ذكره في المقدمة أن هناك نسخاً للبخاري عليها خطوط الأئمة والعلماء في الخزانة الألمانية، بدأ المباركفوري كتابه دون خطبة للكتاب، فافتتح شرحه بذكر مقدمة نفيسة طويلة كالتمهيد للولوج إلى الشّرح؛ ذكر فيها الكثير من الفوائد والمباحث المتعلقة **بسنن الترمذي**.

واستفاد المباركفوري من الشروح الأخرى، على سبيل المثال: **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** لملا علي القاري، و**شرح الطيبي** لحسين بن عبد الله الطيبي، **وفتح الباري** لابن حجر العسقلاني وغيرها، وذكر فيها اختلاف النحاة مثلا بين الكوفيين والبصريين والبغداديين، وكثيرا ما يميل إلى المتوسطين أي البغداديين.

تبرز أهمية هذه الدراسة من بحثها في الدلالة النحوية والأوجه الإعرابية التي تتعلق بالأحاديث الشريفة التي ضمها الكتاب، وما لهذه الأوجه من أثر في توجيه النصوص وفهم معانيها. كما أن الشيخ عبد الرحمن المباركفوري أحد الشخصيات المحورية في شبه القارة الهندية التي أدّت دورًا كبيرا في خدمة العلوم الإسلامية واللغوية، ولا سيما في مجال علوم الحديث النبوي، فآثرت أن يكون موضوع بحثي حول إنتاجه النحوي.

أمّا بالنسبة لهذا الموضوع فيحتوي على المرفوعات ودلالتها، والمنصوبات ودلالتها، والمجرورات، واستخرجت فيها منهج المباركفوري وجهوده في اللغة العربيه. وهذا الكتاب يشتمل على عشرة مجلدات مليئة بالدلالات النحوية والسياقية، فلا يمكن هنا حصر الموضوعات التي وردت فيها (الدلالة النحويه) ولذلك اكتفيت بذكر بعض النماذج للمرفوعات والمنصوبات والمجرورات.

التعريف بصاحب الكتاب:

اسمه و مولده

هو الشيخ الإمام الحافظ الحجة محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن بهادر المباركفوري[١]، ولد في الهند في قرية "مباركفور"[٢] سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين للهجرة، وكان رحمه الله تعالى من أبرز علماء الحديث عند أهل السنة والجماعة[٣].

نشأته

نشأ في قرية مباركفور وتربّى في حجر والده، وقرأ عليه المختصرات[٤]، وحفظ القرآن الكريم، وحصل على العلوم الكثيرة من والده، فمثلا قرأ الرسائل باللغات المختلفة الأردية والفارسية والكتب الفارسية في الأدب والأخلاق وغيرها[٥].

وكذلك حصل على العلوم الكثيرة من علماء اللغة والفقه، منهم الشيخ الكبير العلامة حسام الدين المئوي والشيخ فيض الدين، وسافر المباركفوري إلى البلاد الأخرى للعلوم المختلفة مثل: النحو والصرف والمنطق، وقرأ هذه العلوم على العلامة الشيخ سلامة الله الجيراج[٦]، وانصرف

١- محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، مقدمة **تحفة الأحوذي** (بيروت:دارالكتب العلمية، ٢٠١٠م) ط٤، ج١، ص٢.

٢- مباركفور (بالإنجليزية:) (Mubarakpur بالهندية: (মুবারকপুর) هي مدينة من مدن الهند التابعة لأتر برديش.

٣- الإمام شمس الدين أحمد عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط ٣، ج١، ص٣٤٥.

٤- العلامة الشريف عبد الحي فخر الدين الحسيني ، **الإعلام بمن في تاريخ الهند** (دار ابن حزم) ط١، ج٣ص١٢٧ محمد ناصر العجمي، **المختصرات في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، ١٠٨٣هـ.

٥- الشيخ رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، ج٥، ص١٢٢ .

٦- الإمام العالم الكبير نذير حسين بن جواد علي بن عظمة الله الحسيني البهادري الدهلوي ، المتفق على نبالته وجلالته في العلم والحديث ، ولد سنة ١٢٢٥ هـ بقرية سروج كدها ونشأ بها وتعلم الخط والإنشاء ، انتقل بين سائر البلدان يطلب العلم حتى بلغ في ذلك منصب التدريس والإفتاء، وكانت وفاته يوم الاثنين لعشر ليال مضين من رجب سنة ١٣٢٠ هـ. المصدر السابق ٣ / ٨ / ١٣٩١.

إلى دهلي لعلوم الحديث، وأخذ الحديث عن الشيخ نذير حسين الدهلوي، والقاضي محمد عبد العزيز الجعفري[٧] والأنصاري اليماني[٨].

اشتغاله بالتدريس

درّس الشيخ علم الحديث والفقه والعلوم اللغوية في المدرسة الأحمدية ومدرسة دارالقرآن والسنة بكلكته، ثم ترك عمل التدريس واشتغل بالتأليف والتصنيف، وأعان الشيخ عبد الحق العظيم آبادي[٩] في تكميل **عون المعبود**. وبعد ذلك أنشأ المدارس الدينية الكثيرة، منها مدرسة دارالتعليم ببلدة مباركفور، والمدرسة العربية في بلرامفور، ومدرسة بوندها سراج العلوم، ودرّس فيها، وكان الشيخ المباركفوري مدرسا عظيما في الهند، صاحب الكمال والمهارة الخاصة في معرفة فن اسماء الرجال، والجرح والتعديل، وطبقات المحدثين وتخريج الأحاديث[١٠].

شيوخه

كان من أبرز شيوخه الشيخ عبد الله الغازيفورى[١١] وقرأ عليه خمسة علوم: النحو

٧- العالم المحدث شمس الدين أبو عبد الله القاضي محمد بن عبد العزيز الجعفري المجهلي شهري، أحد العلماء المشهورين في الهند ، ولد لخمس بقين من شوال سنة ١٢٥٢ هـ ، وكان بارعاً في الحديث ، شديد التعصب على مخالفيه خاصة الأحناف، عفيفاً ديناً صالح العمل، توفي يوم الثلاثاء ١٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٠ هـ. انظر: نفس المصدر ٣/ ٨/ ١٣٤٣.

٨- خير الدين الزركلي الدمشقي، **الأعلام** (بيروت: ٢٠٠٢م) ج٨، ص٨٧٥.

٩- الشيخ العالم الكبير المحدث شمس الحق بن أمير علي بن مقصود بن علي بن غلام حيدر العظيم آبادي ، ولد لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ١٢٧٣هـ، وارتحل في طلب العلم مدة ، ثم رجع إلى بلدته وعكف على التدريس والتصنيف، ومن مصنفاته : **غاية المقصود في شرح سنن أبي داود** ولم يتم ، ومنها **عون المعبود شرح سنن أبي داود، والتعليق المغني على سنن الدارقطني، إعلام أهل العصر بأحكام ركعتي الفجر** وغيرها ، توفي في التاسع والعشرين من ربيع الأول سنة ١٣٢٩هـ. انظر: نفس المصدر ٣/ ٨/ ١٢٤٣.

١٠- عمر رضا كحالة ، **معجم المؤلفين**، ج٥، ص١٦٦.

١١- الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحيم بن دنيال الموي الأعظمكرهي ثم الغازيبوري، أحد العلماء المبرزين في الفقه والحديث، ولد سنة ١٢٦١ هـ ، وحفظ القرآن ودرس، ودرس أكثر من خمس وعشرين سنة في شتى العلوم، له مؤلفات عديدة، وله رسائل في النحو والصرف والمنطق والمواريث وغيرها، مات يوم الثلاثاء ٢١ من صفر سنة

والصرف والمعاني والأدب والفنون الآلية وغيرها.

والشيخ السيد نذير حسين البهاري الدهلوي[١٢] وقرأ عليه **صحيح البخاري** لمحمد بن إسماعيل البخاري، **وصحيح مسلم** لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، و**جامع الترمذي** للإمام الترمذي، **ومشكاة المصابيح** لخطيب التبريزي، **وبلوغ المرام** للإمام ابن حجر العسقلاني، **وتفسير الجلالين** لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي و**تفسير البيضاوي** للإمام شيخ الإسلام قاضي القضاة ناصر الدين البيضاوي، وأكثر شرح **نخبة الفكر** للإمام شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني.

وقرأ **موطأ الإمام مالك، ومسند الدارمي** و**مسند الإمام أحمد بن حنبل** و**الأدب المفرد** للبخاري **ومعجم الطبراني الصغير وسنن الدارمي** على الشيخ القاضي الأمين الأنصاري[١٣].

مؤلفاته

يعدّ الشيخ من العلماء الذين ألفوا العديد من الكتب، وكتبه الشهيرة كما يلي:

١ - **أبكار المنن في تنقيد آثار السنن**، وهو كما يتضح من عنوانه نقد لكتاب **آثار السنن** للشيخ ظهير أحسن النيموي.

٢ - **تحقيق الكلام في وجوب القراءة خلف الإمام**، باللغة الأردية في جزئين كبيرين، ذكر في الجزء الأول أدلة القائلين بوجوب القراءة خلف الإمام، وفي الجزء الثاني أدلة المخالفين والرد عليها.

٣- **خير الماعون في منع الفرار من الطاعون**، وهو باللغة الأردية أيضاً ويقع في جزئين

١٣٣٧هـ. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام ٣ / / / ١٢٩٢.

١٢- سبقت ترجمته .

١٣- الإمام العلامة القاضي حسين بن محسن بن محمد بن مهدي... ينتهي نسبه إلى عوف بن مالك الخزرجي الأنصاري الصحابي ، ولد ١٦ جمادى الأولى سنة ١٢٤٥هـ، وحفظ القرآن صغيراً ، لكنه لم يشغل نفسه بالتأليف ، تولى القضاء باليمن نحو أربع سنين ، توفي ليلة الأربعاء سنة ١٣٢٧هـ المصدر السابق ٣ / ٨ / ١٢١٤.

متوسطين.

٤- **المقالة الحسنى في سنية المصافحة باليد اليمنى.**

٥- **القول السديد فيما يتعلق بتكبيرات العيد. وكلها مطبوع باللغة الأردية**[١٤].

٦- **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**، مقدمة **تحفة الأحوذي.**

وفاته

توفي الشيخ المباركفوري سنة ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م في وطنه مباركفور بالهند، بعدما أصاب الشيخ كف بصره، وأكمل المجلدين الأخيرين من شرح **لجامع الترمذي** بمساعدة الشيخ عبيد الله المباركفوري والشيخ عبد الصمد المباركفوري، ثم سافر إلى دهلي وعالج بصره، وابتلي بمرض القلب والحمى، فانتقل إلى الرفيق الأعلى في وطنه مباركفور[١٥].

الدلالة النحوية

الدلالة النحوية هي التي تُستمد من نظام الجملة، وترتيبها ترتيبا خاصا، والربط بين الكلمات ومعانيها أى: إن كل كلمة في التركيب لا بد أن تكون لها وظيفة نحوية من خلال موقعها، كما تحدث "ابن جني" في كتاب **الخصائص**: "هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب وغيرها"[١٦] .

للإعراب أهمية كبيرة في تبيين المعنى، كون الكلمة مرفوعا بسبب الفاعلية أو المبتدأ والخبر، ومنصوبا بسبب المفعولية، ومجرورا بسبب الإضافة أو حرف الجر. وللدلالة صلة وثيقة بالنحو. ولقد كان النحو العزلي منذ نشأته الأولى مهتما بالمعنى، يعتد به ويمد الجملة بمعناها الأساسي ويحدد عناصر معناها ويكشف تركيبها.

١٤- محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، **تكملَة مُعجم المُؤلفين، وَفيات** (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م) ج١، ص١٦٧.

١٥- الإمام شمس الدين أحمد عثمان الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ط٣، ج١، ص٣٤٥.

١٦- ابن جني، **الخصائص**، تحقيق: محمود عبد الله جفال قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب، ج١، ص١٣٤.

يقول السكاكي: "أن الدلالة تحدد المعنى الذي توجد في التركيب بسبب السياق أو القرائن، فلا شك أن النحو هو علم كيفية تراكيب الجمل من حيث القوانين يعرّف عليها لكي نحترز من الخطأ في الجمل أو التراكيب وكيفيتها من حيث التقديم والتأخير"(١٧).

ويقول عبد القاهر الجرجاني: بأن "النحو هو نظم وترتيب الجمل". وتحدث في كتاب **دلائل الإعجاز** عن هذا فقال: "النظم يربط الكلام بعضه ببعض أي هو النظام الذي يقتضي علم النحو"(١٨).

وقد ظهر مصطلح "سيمانتيك" في القرن السابع عشر الميلادي ولكن لم يستعمل في المعنى بل استعمل في تطور المعنى، وفي القرن التاسع عشركذلك ظهر مصطلح "علم السيمانتيك" يعنى الدلالة للمعنى، وفى هذا الزمن ألفت كتب كثيرة عن الدلالة ومن أهمها **كتاب المعنى المعنى** للأوجادين وريتشاد، وفي القرن العشرين ظهر مصطلح "سيمونتيك" سيمولوجيا أي نظام الإشارات أو العلامات(١٩).

تنقسم الدلالة النحوية إلى قسمين الأساسين كما يلي:

١: الدلالة النحوية العامة

وهي تستمد الأدوات من الجمل والأساليب، على سبيل المثال: النفي والاستفهام والتأكيد. يقول إبراهيم أنيس: "إن الدلالة النحوية العامة أي دلالة الكلمة أو الألفاظ، لأن الألفاظ التي تربط بالأصوات التي تؤدي المعنى، فعلم الدلالة هي تركز على الكلمات لا على اللفظ، فقد أشار هنري سويت إلى تفريق بين الكلمات الكاملة والكلمات الشكلية ، والكلمات الكاملة لها معنى، أما الكلمات الشكلية، فهي وظائف نحوية مثلا: الرفع والنصب والجر وفعل الماضي والمضارع

١٧- نعيم زرزور السكاكي ، **مفتاح العلوم** (بيروت :دار الكتب العلمية، ١٤٠٧ هـ) ط٢، ص٣٨٨.

١٨- عبد القاهر الجرجاني ، **دلائل الإعجاز** (القاهرة :دار المدني بجدة، ١٤١٣هـ) ط٣، ص ١٨٥.

١٩- صلاح الدين صالح حسنين، **الدلالة والنحو** (القاهرة: مكتبة الآداب) ط١، ص٩.

والأمر"[٢٠].

٢: الدلالة النحوية الخاصة

وهي معاني أبواب النحوية مثلا: باب الفاعل والمفعول، فكل كلمة إذا كانت فاعلا فالجملة تدل على الفاعلية أو المفعولية، أما الجملة فلا تؤدي معاني معجمية بل تشتمل على المعاني التداولية، أي السياق أو الموقف أو الحال أو القرينة النحوية كما يشير تمام حسان إلى أسس النظام النحوي.

أحدها: هي تركيب من الدلالة النحوية تسمى معاني التركيب أو الأساليب[٢١].

وثانيها: مجموعة من المعاني النحوية الخاصة كالفاعلية والمفعولية والإضافة.

وثالثها: طائفة من العلامات التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحة عند تركيبها لبيان المراد منها كعلاقة الإسناد والتخصيص والنسبة والتبعية وهي علاقات معنوية.

ورابعها: ما يقدمه علماء الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية وصرفية[٢٢].

من دلالات التقديم والتأخير

وقد يتقدم المسند على المسند إليه لغرض التخصيص أو القصر أو للتعجب أو لتشويق السامع أو الشرف وغيرها، وهناك عديد من الأغراض الأخرى لتقديم المسند على المسند إليه، فعلى سبيل المثال: المدح والتفاؤل والتعظيم، وتقديم المسبب على السبب، التذميم أو الشعور بالذلة، ترتيب على وفق مقام الغلبة والكثرة.

المبحث الأول: دلالة تقديم الخبر على المبتدأ

المسألة: تقديم الخبر على المبتدأ

تقديم الخبر على المبتدأ للتشويق

٢٠- انظر: المصدر السابق، ص٥١.

٢١- تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها** (عالم الكتب، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) ط٥، ص٨٧.

٢٢- انظر: المصدر السابق، ص٨٨.

الشاهد: قال النبي صلى الله عليه وسلم "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"(٢٣).

قال المباركفوري: "كلمتان معناها جمل مفيدة وقد يطلق الكلمة على الكلام نحو كلمة الإخلاص وكلمة الشهادة، فهي خبر وخفيفتان، المبتدأ سبحان الله إلى آخره وجاء خبر مقدم لتشويق السامع إلى المبتدأ، ولما نطيل الكلام في وصف الخبر فتجد جمال الكلام في تقديم الخبر فنجد فيها أوصافا كثيرة التي تزيد السامع شوقا، "خفيفتان على اللسان"(٢٤).

ذهب نور الدين عبد الهادي إلى أن "كلمتان" نكرة والخبر المقدم لسبب التشويق ولكن هنا جاء خبر نكرة و"سبحان الله"معرفة، والمعرفة لا تكون خبر النكرة عند غالب النحاة(٢٥).

أمّا بالنسبة لـ: "كلمتان" ففيها الفائدة باعتبار الوصف الذي يخفف اللسان ويثقل في الميزان، وكذلك نجد فيها "كلمتان" الخبر غير مقصود ولا يتعلق منه إخبار النبي صلى الله عليه وسلم،

وقد جاء " كلمتان " وصف الخبر فهو متقدم على المبتدأ أي "خفيفتان ثقيلتان حبيبتان" فكان الأولى أن يأتي سبحان الله خبرا ، وقد أشار بعضهم إلى تعيين خبرية سبحان الله إلى آخره. بسبب وجهين:

أحدهما: أن سبحان الله لزم الإضافة إلى مفرد فجرى مجرى الظروف والظروف لا تقع إلا خبرا(٢٦).

٢٣- محمد بن عيسى الترمذي ، **سنن الترمذي**، باب في التسبيح، ج٣، ص٤٥٥.

٢٤- المباركفوري، محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، **تحفة الأحوذي** (بيروت:دارالكتب العلمية،٢٠١٠م) (باب ما جاء في فضل التسبيح)ط٤، ج٩، ص٢٤٣٠٩.

٢٥- نور الدين بن عبدالهادي أبو الحسن السندي، **حاشيه السندي** (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦) ط٢، ج٢، ص٤٢٣.

٢٦- زكريا بن محمد الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي، **منحة الباري في شرح صحيح البخاري** (الرياض: مكتبة الرشد ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م) ط١، ج١٠، ص٤٢٣.

ثانيهما: "أن سبحان الله إلى آخره كلمة إذ المراد بالكلمة في الحديث اللغوية كما تقدم فلو جعل مبتدأ لزم الإخبار عما هو كلمة بأنه كلمتان".

مسألة "القول في تقديم الخبر على المبتدأ"

وفيها مذهبان:

المذهب الأول: مذهب الكوفيين عدم جواز تقديم الخبر على المبتدأ مفردا كان أو جملة، فالمفرد نحو: قائم زيد وذاهب عمرو، والجملة نحو: أبوه قائم زيد وأخوه ذاهب عمرو.

المذهب الثاني: مذهب البصريين جواز تقديم الخبر على المبتدأ مطلقا[٢٧].

دليل الكوفيين:

يستدلون بأن في تقديم الخبر على المبتدأ احتمال تقدم ضمير الاسم على ظاهره، على سبيل المثال قائم زيد، كان في قائم وجاء فيها ضمير مستتر، وكذلك إذا قلت: أبوه قائم زيد، ففي "أبوه" جاء ضمير ظاهر فنقدم ضمير مستتر على ظاهره، وليس فيها اختلاف من ناحية الرتبة أى تقديم الضمير المستتر على الظاهر فيجب أن لا يقدم ضمير الاسم على ظاهره.

دليل البصريين:

وأما البصريون فهم يستدلون بالشواهد من الأبيات والآيات القرآنية والأحاديث النبويه نحو استشهاد بالبيت:

"فى أكفانه لف الميت ومشنوء من يشنوك"

ويحكي سيبويه "تميمى أنا" جاء هنا تقديم الضمير المستتر على الظاهر، فنجد فيهما حذف العبارة"يؤتى في بيته والميت لف في أكفانه ومن يشنؤك مشنوء وأنا تميمى " وكما ورد في البيت الآتي:

٢٧- عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري أبو البركات، كمال الدين الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف** (القاهرة: المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م) ج١، ص١٦٥.

بـنـونـا بـنـو أبـنـائـنـا وبـنـاتـنـا

بـنـوهـن أبـنـاء الـرجال الأبـاعـد[٢٨].

الجواب

والرّد على ذلك، بأننا لو نجيز تقديم الاسم على ظاهره فيكون الكلام فاسدا، كما يقول البصريون أنه من حيث الرتبة، ونحن نقدم الاسم على ظاهره فهو مؤخر في النية مقدم لفظا[٢٩].

الترجيح

وأرجح قول الجواز بتقديم الخبر على المبتدأ؛ لأن التقديم هنا يأتي نية التأخير من حيث الرتبة، وأمّا المباركفوري فهو يميل إلى مذهب البصريين وذلك الذين يقولون بجواز تقديم الخبر على المبتدأ مفردا أوجملة كما ورد في الحديث "كلمتان... الخ" خبر مقدم "سبحان الله" مبتدأ مؤخر.

المبحث الثاني: الفاعل ودلالته، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: دلالة تقديم الفاعل المعنوي على عامله

قال المباركفوري فَإِنْ شَرْطِيَّةٌ (أَحَدٌ) فَاعِلُ فِعْلٍ مَحْذُوفٍ وُجُوبًا يُفَسِّرُهُ (تَرَخَّصَ) نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِنْ أحد من المشركين استجارك[٣٠].

مسألة: تقديم الفاعل المعنوي على عامله

اختلف النحاة في تقديم الفاعل على عامله كما يلي:

أولا: مذهب الكوفيين

يجوز عند الكوفيين تقديم الفاعل على فعله، فيجوز أن يُعرب (زيد) في (زيد قام) بإعرابين: **الأول**: أنه مبتدأ والجملة بعده خبر، كما هو رأي البصريين. **والثاني**: أنه فاعل تقدم على فعله. ومن

٢٨- عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي،١٩٩٧م) ط٤، ج١، ص٢١٣.

٢٩- انظر: **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ج١، ص٦٨.

٣٠- المباركفوري، **تحفة الأحوذي**، ج٣، ص٣٤٩.

أدلتهم قوله تعالى ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[٣١] الكوفيون يجعلون (أحد) فاعلاً مقدما للفعل المذكور بعده (استجارك)؛ لأن تقديم الفاعل على الرافع عندهم سائغ.

ثانيا: مذهب البصريين

يجب عند البصريين أن يكون الفاعل بعد الفعل؛ فلا يجوز تقديمه عليه. واستدلوا على ذلك بوجهين :

الوجه الأول: أن الفعلَ وفاعله كجزأين لكلمة واحدة متقدم أحدهما على الآخر وضعا؛ فكما لا يجوز تقديم عجز الكلمة على صدرها لا يجوز تقديم الفاعل على فعله.

الوجه الثاني: تقديم الفاعل يوقع في اللبس بينه وبين المبتدأ، وذلك في صورة جواز تقديم الفاعل، كما في قول القائل: (زيد قام) لم يدرِ السامع أأراد الابتداء بزيد والإخبار عنه بجملة (قام) وفاعله مستتر، أم أراد إسناد (قام) المذكور على أنه فاعل، وقام حينئذ خالٍ من الضمير، ولا شك أن ما بين الحالتين فرقًا، فإن جملة الفعل وفاعله تدل على حدوث القيام بعد أن لم يكن[٣٢].

ويشير جمهور البصريين إلى أن عامل الرفع في الاسم بعد أداة الشرط هو الفعل المحذوف المقدر قبله، وحينئذ يعرب الاسم المرفوع فاعلاً لذلك الفعل المحذوف[٣٣]، وقد فسره الفعل المذكور بعده.

ثالثا: مذهب الأخفش الأوسط

ذهب الأخفش الأوسط[٣٤]، و الفراء [٣٥]، في أحد قوليه، إلى أن الاسم المرفوع بعد أداة

٣١- سورة التوبة، الآية: ٦.

٣٢- الأشبيلي، **البسيط في شرح جمل الزجاجي**، ص٢٢٥.

٣٣- سيبويه، **الكتاب** ، ج١، ص٢٢٣.

٣٤- الأخفش الأوسط، **معاني القرآن**، ج٣، ص٥٦.

٣٥- الفراء، **معاني القرآن**، ج٣، ص٤٥.

الشرط يعرب مبتدأ، والجملة بعده خبر له، وهي في موضع رفع. يرجع سبب هذا الاختلاف إلى أمرين :

الأمر الأول: هل يجوز أن تقع الجملة الاسمية بعد أدوات الشرط؟ لا يجوز ذلك عند جمهور الكوفيين والبصريين، ولو وقع في الكلام ما ظاهره ذلك فهو مؤول بتقدير الفعل متصلاً بالأداة، غير أن البصريين قالوا: الفعل المقدر اتصاله بالأداة هو فعل محذوف يرشد إليه الفعل المذكور، وأما الكوفيون فقالوا: الفعل المقدر اتصاله بالأداة هو المذكور نفسه بعد الاسم، وذهب أبو الحسن الأخفش إلى أنه يجوز في (إن وإذا) خاصة- من سائر أدوات الشرط- أن تقع بعدهما الجمل الاسمية، وعلى هذا لسنا في حاجة إلى تقدير محذوف، ولا إلى جعل الكلام[٣٦] على التقديم والتأخير.

والأمر الثاني: هل يجوز أن يتقدم الفاعل على فعله؟ فذهب الكوفيون إلى جواز ذلك، ولهذا جعلوا الاسم المرفوع بعد الأداتين فاعلاً بذلك الفعل المتأخر، وذهب جمهور البصريين إلى أن الفاعل لا يجوز أن يتقدم على رافعه- فعلاً كان هذا الرافع أو غير فعل، فاضطروا إلى تقدير فعل محذوف يفسره الفعـل المذكور يرتفع به ذلك الاسم[٣٧].

مناقشة قول البصريين والكوفيين

إن البصريين يعرِبون الاسم المرفوع بعد أدوات الشرط فاعلاً لفعل محذوف يفسره المذكور بعده؛ لأن أداة الشرط عندهم لا تدخل على الاسم بل على الفعل، ثم هم يجيءزون دخول (إن) على الاسم المرفوع فقط، وأما غير (إن) فلا يقع ذلك فيه إلا في الشعر. قال سيبويه[٣٨] وإنما هذا في (إن)لأنها أصل الجزاء ولا تفارقه.واعلم أن قولهم في الشعر: إن زيد يأتك يكن، كذا، إنما ارتفع على فعل، هذا تفسيره. فأود أن أقول: إن (أنتم) في قوله تعالى﴿ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [٣٩] كيف نعربه

٣٦- الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ج٢، ص٣٥٤.

٣٧- أبو البركات الأنباري، **أسرار العربية**، ص٩٠.

٣٨- سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص١١٢.

٣٩- سورة المائدة، الآية: ١٠٢.

فاعلاً؟لأن الضمير المنفصل بعد الفعل لا يقع فاعلاً، ولا تقول في (أكرمتَ أنت محمدا) إن (أنت) فاعل، بل هو توكيد لفظي للضمير المتصل (ت) .وكذلك قولهم إن الاسم المرفوع لا يقع بعد (إن) حسب، ليس دقيقًا؛ لأن الاسم المرفوع كما ورد بعد "إن" ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾[٤٠].

وأما قول الكوفيين ضعيف؛ لأن الفاعل لا يتقدم على الفعل.

والرأي الراجح عندي هو ما ذهب إليه الأخفش في هذه المسألة، وأعد التراكيب من قبيل الجملة لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل لأن أداة الشرط مختصة بالأفعال.

ومذهب المباركفوري يميل إلى مذهب الكوفيين بجواز تقديم الفاعل على عامله وفعل محذوف وجوبا يفسره، والسؤال الآن ما الغرض من حذف رافع الفاعل؟ إن الغرض من الإبهام ثم التفسير إحداث وقع في النفوس لذلك المبهم لأن النفوس تتشوق. إذا سمعت المبهم العلم بالمقصود منه إضافة أن ذكر شيء مرتين مبهما ثم مفسرا ليس ذكره مرة.

المسألة: مجيء الفاعل جملة

الأول: المنع مطلقا سواء أكان الفعل عاملا قلبيا أم لا وهو مذهب البصريين[٤١]، ومن تبعهم كأبي على الفارسي[٤٢]، و العكبري[٤٣]، وابن هشام الأنصاري[٤٤]، وابن عصفور[٤٥]، والسيوطي[٤٦]، هذا مذهب الجمهور وهو المذهب المشهور.

قال أبوعلي الفارسي[٤٧]: عدم جواز مجيء الفاعل جملة لأن الفاعل يكنى عنه فلا يجوز قيام

٤٠- سورة الانفطار، الآيتان: ٢-١.

٤١- ابوحيان، **التذييل والتكميل**، ج٢، ص٥٣٨.

٤٢- صلاح الدين السنكاوي، **المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات** (بغداد: مطبعة العاني) ص٥٢٧.

٤٣- العبكري، **التبيان في الإعراب القرآن**، ج٢، ص٧٣٢.

٤٤- ابن يعيش، **شرح جمل الزجاجي**، ج١، ص١٥٧.

٤٥- ابن هشام، **شرح شذور الذهب**، ج١، ص٢١.

٤٦- السيوطي، **همع الهوامع**، ج١، ص٥٢٤.

٤٧- صلاح الدين السنكاوي، **المسائل البغداديات**، ٥٢٥.

الجملة مقامه لأنك لو فعلت ذلك للزمك إضمارها وليس لها إضمار.

الثاني: جواز مجيء الفاعل جملة مطلقا وإليه ذهب هشام بن معاوية الضرير[٤٨]، وأبو العباس الثعلب[٤٩] وجماعة من الكوفيين، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾[٥٠] وإن جملة كيف فعلنا هو الفاعل[٥١].

الثالث: "يجوز ذلك بشرط أن يكون العامل فعلا قلبيا وأن تكون الجملة مقترنة بمعلق نحو (ظهر لى أقام زيد)، وحملوا عليه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[٥٢] (يعجبنى يقوم زيد) ونسب هذا إلى سيبويه[٥٣]، وهو مذهب الفراء[٥٤] وجماعة منهم الدماميني وغيره،[٥٥] ولكن اشترط أن يكون مع الاستفهام خاصة دون سائر المعلقات على أن الإسناد مضاف محذوف إلى جملة.لأن المعنى (ظهر لى جواب)(أقام زيد) أى جواب قول القائل ذلك، وهذا لابد من تقريره دفعا للتناقض إذ ظهور الشيء مناف للاستفهام المقتضى للجهل به".

وردّ المانعون[٥٦] على بعض ما احتج به من أجاز ذلك بقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ يحتمل أن يكون فاعل (بدا) ضمير المصدر دال عليه البداء كأنّه

٤٨- ٢٠٩هـ هو نحويٌّ كوفي، من أئمة النحو في الطبقة الثالثة من المدرسة الكوفية في النَّحو، عُرِف بمصاحبته للكسائي وهو أحد تلاميذه (التنوخي، تاريخ علماء النحويين، ج١، ص١٨٦) .

٤٩- ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٢٣، أبو حيان، **ارتشاف الضرب**، ج٣، ص١٣٢٠.

٥٠- سورة إبراهيم، الآية: ٤٥.

٥١- أبو العباس شهاب الدين، **الدر المصون**، ج٧، ص١٢٥.

٥٢ - سورة يوسف، الآية: ٣٥.

٥٣- سيبويه، **الكتاب**، ج٤، ص٥٦.

٥٤- الفراء، **معاني القرآن**، ج٣، ص٥٥.

٥٥- الدماميني، **تعليق الفرائد**، ج٢، ص٣٤ ، .

٥٦- أبو حيان، **التذييل والتكميل**، ج١، ص٧٧.

يقول (ثم بدا لهم هو أى البدء)، وتكون اللام في قوله (ليسجننه)، إما جوابا لقسم محذوف تقديره (والله ليسجننه)، وإما جوابا(لبدا لهم) لأن البدا من أفعال القلوب، وهي قد تجرى مجرى القسم فتحتاج إلى جواب" (أو يكون الفاعل ضمير السجن المفهوم من الفعل)"[٥٧] .

أما اختيار المباركفوري فبعد أن بسط المذاهب الثلاثة السابقة، وبعد أن استبعد في النظر و العقل كون الجملة فاعلة قال: ولكن أقوال الأئمة لا ترد وإنما ذكرت هذه المسألة مع استبعادي تصورها.

قال المباركفوري في الرواية المنقولة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "قال ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة، وقيام كل ليلة منها بقيام ليلة القدر"[٥٨] فالجملة أن يتعبد" أن حرف ناصبة مصدرية والجملة في محل رفع فهو فاعل "أحب" وتقديره "أن يفعل عباده" .

وأن يتعبد له أحب فعل وأن مع صلتها فاعل جملة مرفوع في محل رفع. يميل المباركفوري إلى مذهب الكوفيين أن يكون الفاعل جملة محكية بالقول يعني يكون في حكم المفرد ، وَقَوْلُهُ (أَنْ يَتَعَبَّدَ) فِي مَحَلِّ رَفْعٍ بِتَأْوِيلِ الْمَصْدَرِ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلُ أَحَبَّ.

المطلب الثاني: دلالة حذف الفاعل

اختَلف النحاة قديمًا حول مسألة حذف الفاعل، فأجازه قومٌ مطلقًا، ومنَعه قومٌ وشدَّدوا في ذلك، وتوسَّط قومٌ آخرون وأجازُوه بشروط، كأن تدلُّ عليه قرينة معيَّنة، ومنَعوه إذا انتَفى وجود ذلك، وهذا تلخيص مُوجَز لِمَا قالوه وذهبوا إليه.

القسم الأول: الممنوع، أما البصريون فهم يمنعون حذف الفاعل فلا يجيءزونه إلا في

٥٧- السيوطي، **همع الهوامع**، ج٢، ص١٧.

٥٨- المباركفوري، **تحفة الأحوذي**: باب العمل في ايام العشر، ج ٣ ، ص٥٨١٣١.

مواضع ذكرها السيوطي[٥٩] ناسبا ذلك إلى البصريين، يقول: أمّا البصريون فلا يجيءزون حذفه إلا في المواضع التالية:

أولها: فاعل المصدر، نحو قوله تعالى﴿ أَوۡ إِطۡعَٰمٌ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴾[٦٠].

وثانيها: فاعل فعل الجماعة المؤكد بنون التوكيد، وفعل المؤنثة المخاطبة. في حين نجده في كتاب **الأشباه والنظائر**[٦١] في النحو يورد عن ابن النحاس في التعليقة مواضع ثلاثة لحذف الفاعل، يقول:" قال ابن النحاس[٦٢] في (التعليقة) اعلم أن الفاعل يحذف في ثلاثة مواضع:

أحدها: إذا بُني الفعل للمفعول.

الثاني: في المصدر إذا لم يذكر معه الفاعل مظهرا يكون محذوفا ولا يكون مضمرا.

الثالث: إذا لاقى الفاعل ساكنا من كلمة أخرى" ولم ترد أية إشارة إلى أنهم في هذه الأمثلة قالوا بالإضمار.

القسم الثاني: جائز يمثله الكسائي[٦٣] الذي أجازه قياسا على حذف كل من المبتدأ والخبر لورود ذلك في القرآن الكريم ، نحو قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴾[٦٤] فحذف فاعل(نزل) وهو العذاب، وقوله ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴾ فحذف فاعل(بلغت)وهو الروح، والحذف هنا لظهور الفاعل ظهورا لا لبس فيه، والآية في ذكر الموت ولا يبلغ التراقي عند الموت إلا النفس والروح .

٥٩- السيوطي، **همع الهوامع**، ج٢، ص٣٤.

٦٠- سورة البلد، الآية: ٧.

٦١- السيوطي، **الأشباه والنظائر**، ص٣٤.

٦٢- أبو جعفر النحاس، **معاني القرآن**، ج١، ص٤٥.

٦٣- الكسائي، **معاني القرآن**، ج٢، ص١٥.

٦٤- سورة الصافات، الآية: ١١٧.

كما قال الكسائي[٦٥] بأنّ: الفاعل يحذف من الفعل الأول في باب التنازع؛ وذلك حذرا من الإضمار قبل الذكر، واختار الفراء[٦٦] مذهب الكسائي في جواز حذف الفاعل، ورأى أنّ (حاشا) فعل لا فاعل له. كما ذهب الجمهور إلى أنّ (كان) الزائدة ليس لها فاعل أصلا في نحو"ما كان أحسن زيدا". وكان ابن مضاء[٦٧] أشدهم رفضا لتقدير الضمائر المستترة في الأفعال، ففي جملة (زيد قام) يرى أن لفظ الفعل يدل على الفاعل فلا يحتاج إلى أن يُضْمَر شيء لأنه زيادة لا فائدة فيها.

القسم الثالث: ممنوع ويجوز بشروط وهؤلاء لم يمنعوه البتة، ولم يجيءزوه إلا مع قرينة حاليّة أو مقالية، قال العلوي[٦٨]: "وحذفه إنما يكون إذا دلت عليه دلالةٌ، وقد منع الشيخ عثمان بن جني[٦٩] من النحاة حذف الفاعل، ونص على استحالة ذلك، والمختار هو المنع من حذفه من غير دلالة تدل عليه حاليّة أو مقالية، فأما مع القرينة، فلا يمتنع جوازُه، ويدلّ على حذفه قوله تعالى:﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾[٧٠] فحذف فاعل بلغت والغرض النفس، وليس مضمرا لأنه لم يتقدم له ظاهر يفسره، وإنما دلّت القرينة الحالية عليه، لأنه في ذكر الموت ولا يبلغ التراقي عند الموت إلا النفس.

"إذا بني الفعل للمفعول حذف الفاعل وأقيم المفعول به مقامه ورد في **تحفة الأحوذي**. كما روى عن ابن عمر: "عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله"[٧١].

الشاهد: فكأنما وتر أهله:

٦٥- المصدر السابق، ص١٦.

٦٦- الفراء، **معاني القرآن**، ج٢ص٣٣.

٦٧- ابن مضاء، **كتاب الرد على النحاة**، ص١٣٠-١٣٢.

٦٨- عبد الله بن حسين بن طاهر العلوي، **السلس الخطاب على مفتاح الإعراب** (١٣٢٧هـ ١٩٠٩م) ص٤٥.

٦٩- عثمان ابن جني، **الخصائص**، ج٢، ص٣٤.

٧٠- سورة القيامة، الآية: ٢٧.

٧١- **سنن الترمذي**، باب السهو عن صلاة العصر، رقم الحديث ١٥٦، ج ١ ص ٧١٣٣٠.

قال المباركفوري: "(فكأنما وتر) مفعول ما لم يسم فاعله معناها "سلب أو أخذ" (أهله وماله) جاء بالرفع والنصب يقول الإمام الحافظ فهو منصوب، لأنه مفعول ثان لوتر ونحذف المفعول الأول". "وتر فعل ورد ما بعده منصوبا وعليه يكون الفاعل مضمرا عائدا على الذي ومن ثم أهله مفعول الثاني من الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين وعلى ذلك يصبح المعنى أصيب بأهله وماله"(٧٢).

ووضح المباركفوري هذه القضية بقوله: حذف الفاعل جائز مع وجود الشروط السابقة التي ذكرت هنا في الحديث (وتر) فعل ماض مبني للمجهول وفاعله محذوف وأقيم الفعل مقام الفاعل ،" أهله وماله" معناها (هلك أهله وماله) أو سلب ماله وأهله.

كأنّ ودلالته

المسألة مجيء "كأن"للتحقيق

"كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم"

قال صاحب تحفة الأحوذي:"كأني أنظر إلى رسول الله" أي في استحضار القضية واستحفاظ القصة ، يحكي نبيا أي حال كونه يحكي حال نبي من الأنبياء ضربه قومه أي قد ضربه قومه، فهو حال بتقدير قد وجوز بدونه أيضا كأن فيه للتحقيق، مثلا كأني أنظر إلى النبي أن المراد بقوله هذا استحضار تلك الحالة الماضية عند الحالة الراهنة للإشارة إلى غاية تحققها ونهاية صدقها(٧٣).

ذكر المباركفوري هنا "كأنّ" تأتي للتحقيق، حيث تأتي الجملة حالية بصيغة المضارع لحكاية حال الماضي.

المسألة الأولى: اختلف العلماء في مجيء "كأنّ" للتحقيق إلى مذهبين:

٧٢- المباركفوري، **تحفة الأحوذي**، باب السهو عن وقت الصلوة، ج١، ص٥٢٢.

٧٣- المباركفوري، **تحفة الأحوذي شرح الترمذي**، باب صفة التوبة، رقم الحديث ٣٤٥، ج ٤، ص ٣٥٦.

المذهب الأول:

"كأنّ للتشبيه المؤكد لأنها مركبة ولاتخرج كأنّ عن التشبيه عند البصريين.

المذهب الثاني:

"زعم الكوفييون بأن لفظ "كأنّ" كما تأتي للتشبيه تأتي للتحقيق، وقيل: للظن إذا كان خبرها فعلا أو ظرفا أوصفة من صفات أسمائها، والمشهور أنها تأتي للتشبيه والتشبيه قيل: مشروط بأن يكون خبرها جامدا، فإن كان مشتقا وصفا أو فعلا ، فالظاهر أنها للظن أو للتحقيق ليست للتشبيه"(٧٤).

كأنّ بتشديد النون (أنظر) أن كأنّ يجيء للتحقيق وهذا المعنى فقد أثبته الكوفيون وذكره ابن هشام في **مغني اللبيب**(٧٥).

قال ابن السراج : "هذه عادة النحويين فهم يجعلون كأن للتشبيه حيث وقعت إنما تكون تشبيها محضا، وإذ وقع في الخبر اسم يمثل به اسما ويكون الخبر أرفع من الاسم نحو "كأن زيدا ملك" أو "كأن عمرا أسد" أما إذا كان خبرها فعلا أو ظرفا أو مجرورا أو صفة من صفات اسمها، فإنها يدخلها حينئذ معنى الظن والحسبان نحو: كأن زيدًا قائم أو في الدار، فليست تشبه زيدًا بشيء ههنا"(٧٦).

قال ابن الأنباري في **الإنصاف**: "كأنّ" لها أربعة أوجه كما يلي:

أحدها: التشبيه، وهو قول الجمهور وجماعة منهم ابن السيد البطليوسي(٧٧) أنه لا يكون إلا إذا كان خبرها اسما جامدا "نحو كأن زيدا أسد" بخلاف "كأن زيدا قائم أو في الدار أو عندك أو

٧٤- ابن الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، تحقيق مصطفي محمد (مصر: المكتبة التجارية الكبرى) ج٢، ص ٧٠٩ .

٧٥- جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٥م) ط٥، ج١، ص٨١.

٧٦- أبوبكر بن السراج النحوي البغدادي، **الأصول في النحو**، ص ٢١٣.

٧٧- شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م) ط١، ج٦.

يقوم" فإنها في الأمثلة المذكورة للظن.

والثاني: الشك والظن، وأشار ابن الأنباري إليه بما يقال: " كأنك بالشتاء مقبل أي أظنه مقبلا ".

والثالث: التحقيق عند الكوفيين والزجاجي(٧٨).

والرابع: التقريب قال الكوفيون وحملوا عليه كأنك بالشتاء مقبل، وكأنك بالفرج آت، وكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل" (٧٩) .

والقول الراجح هنا "كأن" للتحقيق اسمه "ي" متكلم في محل نصب لأن خبرها "أنظر"جملة فعلية في محل رفع، إذا كان خبر "كأنّ" اسما جامدا فهو للتشبيه، بخلاف إذا كان بعدها فعلا أوصفة أوظرفا فحينئذ للتحقيق أو الظن والحسبان.

الدلالة

"كأنّ" هنا بمعنى التحقيق لا يستقيم معنى آخر مثل التشبيه والتقريب أوالظن والحسبان.

وهذا الحديث يدل على استحضار القصة الماضية عند الحالة الراهنة أو يحكي حال النبي صلى الله عليه وسلم بأنه قد ضربه قومه ومسح الدم عن وجهه.

"كان" ودلالتها

منها: دلالة "كان" على الحدث والزمن.

الشاهد: "إِلاَّ أَنْ تَكُونَ صَفْقَةَ خِيَار"

قال المباركفوري: (إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَفْقَةُ خِيَارٍ) بِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّ كَانَ تَامَّةٌ وَالتَّقْدِيرُ إِلَّا أَنْ تُوجَدَ أَوْ تَحْدُثَ صَفْقَةُ خِيَارٍ، وَبِالنَّصْبِ عَلَى أَنَّ كَانَ نَاقِصَةٌ وَاسمهَا مُضْمرٌ وَخَبَرُهَا صَفْقَةُ خِيَارٍ وَالتَّقْدِيرُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الصَّفْقَةُ صَفْقَةَ خِيَارٍ، والمرَادُ أَنَّ المتَبَايِعَيْنِ إِذَا قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ اخْتَرْ إِمْضَاءَ

٧٨- انظر: محمد بن عثمان شمس الدين الذهبي، **سيرأعلام النبلاء**، ج ٣ص٥٦٨.

٧٩- ابن الأنباري: **الإنصاف في مسائل الخلاف** (دمشق: دارالفكر) ط٢، ج٢، ص٨٢٢.

الْبَيْعِ أَوِ افْسَخْهُ فَاخْتَارَ أَحَدُهُمَا تَمَّ الْبَيْعُ وإن لم يتفرقا"[٨٠].

(تكون) من حيث الصيغة تدل على الفعل المضارع أما من حيث المعنى فيدل على الوجودية أو الحدث،

اختلف النحاة في دلالة "كان" هل هي تدل على الحدث أو الزمان؟

المانعون

ذهب المانعون إلى أن " كان" تدل على الزمان مجردا من الحدث، ومن أبرزهم الجرجاني، ابن جني، الشلوبين وابن السراج وغيرهم[٨١]، ويستدلون لموقفهم بأن:

"الفعل الحقيقى له دلالتان: الأول دلالة على الزمان من حيث الصيغ، والثاني دلالة على الحدث من حيث لفظه. أمّا بالنسبة "كان" وأخواتها فهي مفارقة عن الفعل الحقيقي، فهي تدل فقط على الزمان مجردا من الحدث"[٨٢] .

ذكر ابن هشام في كتابه **أوضح المسالك** إن " كان " من الأفعال الناقصة فهي سلبت الدلالة عن الحدث يدل فقط على الزمان بربط المبتدأ والخبر"[٨٣].

المؤيدون

يقول ابن مالك والسيوطي وغيرهم أن "كان" ناقصة تدل على الحدث والزمان، ونقل عن سيبويه في ذلك قولان: الأول "كان التامة تدل على الحدث، و كان ناقصة تدل على الزمان فقط"

"استدل ابن مالك بشواهد كثيرة وذكر أنها لم تكتف بمرفوع ؛ لأن حدثها مقصود إسناده إلى النسبة التي بين معموليها، فمعنى قولك: كان زيد عالما، وجد اتصاف زيد بالعلم[٨٤].

٨٠- المباركفوري، **تحفة الأحوذي**: باب في المزارعة، ج٤، ص٥٢٩.

٨١- ابن السراج، **الأصول في النحو**، ج١ ص٨١.

٨٢- أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، **اللمع في العربية** (الكويت: دار الكتب الثقافية) ج١، ص٣٧.

٨٣- ابن هشام، **أوضح المسالك**، ج١ ص٢٣١.

٨٤- ابن مالك محمد بن عبدالله، **شرح ابن عقيل**، ط١، ج١، ص٢٠٣.

ويعلق الدكتور إبراهيم السامرأيي على آراء النحاة وأقوالهم في عزل هذه الأفعال عن بقية أفعال العربية الأخرى فقال: وكأنهم وجدوا في هذه عزل الأفعال بسبب ما يأتي بعدها حيرة وعدم اطمئنان، وعلى هذا الاتجاه سار المتأخرون من النحويين دفعا لما كان يساورهم من دلالة المصطلح(الناقص) وإطلاقه على هذا النحو من الاعتباط[٨٥].

الترجيح

أرجح مذهب ابن مالك لأن حجته أقوى من المانعين و يميل المباركفوري أيضا إلى مذهبه في جواز دلالة "كان" على الحدث والزمان، واستدل المباركفوري بالشاهد وهو" أن تكون صفقة خيار" إذا كانت كلمة "كان" تامة فهي تدل على الحدث توجد أو تحدث، وإذا كانت "تكون" ناقصة أيضا تدل على الحدث مقترن بزمان توجد اتصاف الصفقة بالخيار.

"دلالة "كان" على الماضي المنقطع"

قول المباركفوري: "كان أحب الثياب لأجل اللبس (الحبرة) بالنصب على أنه خبر كان وأحب اسمه"[٨٦].

ففي هذه العبارة "كان" يدل على حكاية الحالة الماضية ودلالته على الزمن الماضي، وهذا من خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم. وخبر كان فعل مضارع إذا كان خبر "كان" فعلا مضارعا فهو يدل على الزمن المعتاد الماضية".

كما قال إبراهيم السامرائي: "قد تأتي بناء (يفعل) مسبوقا بكان للدلالة على أن الحدث كان مستمرا في زمان ماض"[٨٧].

يقول السيوطي: هنا تتعلق قصة الماضية كما ورد في الحديث "عن النبي صلى الله عليه

٨٥- إبراهيم السامرائي، **الفعل زمانه وأبنيته** (بيروت: مؤسسة الراسالة، ١٩٨٣م) ط٣، ص٦٥.

٨٦- المباركفوري، **تحفة الأحوذي**: أحب الثياب إلى الله، ج٥، ص٣٩٧.

٨٧- إبراهيم السامرائي، **الفعل زمانه وأبنيته**، ص٣٣.

وسلم بلفظ"كان يصوم"أو" كنا نفعل" والمعنى هاهنا "كان" يأتي يفيد الاستمرار والدوام، ويفيد التخصيص ولا يأتي للاستمرار أو الدوام كما جاء في الحديث "كان يمسح مرة" ثم جاء في الحديث الآخر "أنه يمسح ثلاثا" فهذا من باب تخصيص العموم(٨٨).

وكذلك جاء "كان" للماضي المنقطع كما ورد في الحديث النبوي "كانت رأية النبي صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه أبيض" بالنصب على أنه خبر كان ويجوز رفعه على الخبرية(٨٩).

ثانيا: المنصوبات ودلالتها

تقديم المفعول للعناية والاهتمام

كُلّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ يصْنَعُ

قول المباركفوري: "كل ذلك" بالنصب على أنه مفعول مقدم لقوله قد كان يصنع "ربما أوتر من أول الليل وربما أوتر من آخره"(٩٠).

هذا الحديث يدل على قراءة النبي صلى الله عليه وسلم أو كيفية الوتر كما جاء في رواية مسروق أوتر أول الليل ووسطه وآخره ولكن انتهى وتره وكيف كانت قراءتُه؟ أكان يُسِرُّ بالقراءة أم يجهر؟ قالت: كل ذلك قد كان يفعلُ، وربما أَسَرَّ وربما جَهَر (٩١).

أمّا من الناحية الدلالية فإن كلمة "كل ذلك"مفعول منصوب مقدم، وفعله "قد كان يصنع" وجاء تقديم المفعول للاهتمام بالقراءة جهرا وسرا في الوتر أو صلاة الليل.

تقديم المفعول للعناية والاهتمام

"مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ "

٨٨- فضل السامرائي: **معاني النحو** (الأردن: دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع) ج١، ص١٦٩.

٨٩- المباركفوري، **تحفة الأحوذي**: باب ما جاء في الشعار، ج٥، ص٢٦٩.

٩٠- انظر: **تحفة الأحوذي**، ج٨، ص٢٤١.

٩١- أبو الفضل، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي البستي، **إكمال المعلم بفوائد مسلم**، تحقيق: يحيى إسماعيل (مصر: دارالوفاء، ١٤١٩هـ-١٩٨٨م) ج٢، ص١٤٥.

يقول المباركفوري: "ما الفقر أخشى عليكم " الفقر منصوب" ما أخشى عليكم الفقر"ويجوز بالرفع بتقدير ضمير أي ما الفقر أخشاه عليكم، والأول هو الراجح، وخص بعضهم جواز ذلك بالشعر، قال الطيبي فائدة تقديم المفعول هنا الاهتمام بشأن الفقر"(٩٢).

يقول الإمام الطيبي رحمه الله: ما هي الفائدة في تقديم المفعول في القرينة الأولى دون الثانية، قلنا لهم: فائدته الاهتمام بشأن الفقر لأن الأب المشفق إذا يحتصر فيكون اهتمامه بشأن الولد و عدم ضياعه المال، كأن معناها يقول حالي معكم خلاف حال الوالد فإني لا أخشى الفقر كما يخشاه الوالد(٩٣).

جاء تقديم المفعول به للاهتمام بشأن الفقر والعناية يجوز فيها وجهان:

أولا: الرفع: "ما الفقر أخشاه عليكم".

ثانيا: النصب: "ما الفقر أخشى عليكم"، الفقر مفعول به مقدم على الفعل للعناية والاهتمام.

الحديث "باب ما جاء أمان العبد والمرأة" والحديث اللاحق أيضا يدل عليه "أجازوا أمان المرأة".

المستثنى المفرغ تفيد القصر والحصر

الشاهد: "لاَ يُحِبُّهُ إِلا الله"

قال المباركفوري:"لا يحبه إلا الله "استثناء مفرغ أي لا يحبه لغرض وعرض وعوض ولا يشوب محبته حظ دنيوي ولا أمر بشر بل محبته تكون خالصة لله تعالى فيكون متصفا بالحب في الله وداخلا في المتحابين لله"(٩٤).

قال الهاشمى: "أن المستثنى المفرغ فهو لا يوجد فيها المستثنى منه فيفيد معنى القصر

٩٢- المباركفوري، **تحفة الأحوذي**: باب في صفة الأواني، ج٧، ص١٣٧.

٩٣- المباركفوري، **تحفة الأحوذي**: ج٧، ص١٦٢.

٩٤- المباركفوري، **تحفة الأحوذي**، ج٧، ص٣٧٤.

والحصر. والقصر والمستثنى المفرغ يتطابقان"[٩٥] .

وذهب الدكتور مخزومي إلى فرق بين إلا أداة الاستثناء والقصر، أمّا أداة القصر ففيها النفي في الجملة مسبوقة ويأتي فيها التوكيد والإيجاب دائما، وأما أداة الاستثناء ففيها استخراج ما قبل الجملة، ولكن في المستثنى المفرغ ليس فيها استخراج من الجملة السابقة، ولذلك هناك الاختلاط بين المستثنى المفرغ والقصر"[٩٦] .

وتحدث أبو حيان في كتابه **ارتشاف الضرب عن المستثنى المفرغ** بأننا: "لا ننصب المستثنى في الاستثناء المفرغ لأن المستثنى منه غير مذكور، نعامل كما لا توجد فيها المستثنى أي فارغ من عمل الاستثناء، فعلى سبيل المثال ما جاء إلا عمر بالرفع، ما مررت إلا عمرا بالنصب"[٩٧] .

يقول ابن يعيش: "إلا تدخل بين المبتدأ والخبر، وبين الصفة وموصوفها، وبين الحال وصاحبه، فمثال دخولها بين المبتدأ وخبره قولك "ما زيد إلا قائم" فقائم خبر زيد كأنك قلت: زيد قائم، لكن فائدة دخول إثبات الخبر للأول ونفي خبر غيره عنه والمستثنى منه مقدر والتقدير: ما زيد شي إلا قائم"[٩٨].

ويتحدث ابن هشام: "إذا كان الاستثناء مفرغا فالاسم الواقع بعد "إلا" يكون معربا بإعراب ما يقتضيه ما قبل دخول "إلا" عليها، وإن الاستثناء المفرغ لا يقع في الكلام الموجب "ما قام إلا زيد" فترفع زيد على الفاعلية"[٩٩] .

يقول الإمام السيوطي: "أن المستثنى منه محذوف كسقوط نحو "وما محمد إلا رسول" وإن

٩٥- أحمد بن مصطفى بن إبراهيم الهاشمي، **جواهر البلاغة في البيان والبديع** (بيروت: المكتبة العصرية) ص١٥١.

٩٦- انظر: المرجع السابق، ص١٥٢.

٩٧- أبو حيان الأندلسي، **إرتشاف الضرب**، تحقيق: رجب عثمان محمد، رمضان عبد التواب، (القاهرة: مكتبة الخانجي) ط١، ج١، ص٢٣.

٩٨- ابن يعيش، **شرح المفصل**، ج ٢، ص ٩٣.

٩٩- انظر: **شرح شذور الذهب**، ٣٢٦، و**شرح ابن عقيل**، ج٢ ، ص٣١٨.

كان الكلام غير موجب هو النفي أو النهي أو الاستفهام"[١٠٠].

وفي هذا الحديث مستثنى مفرغ فهو يفيد القصر أو الحصر كما ذكر ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح لا يحبه إلا الله تفيد التخصيص في أفراد بالذكر أو عناية الاهتمام بشأنهم"[١٠١].

و هنا نجد في الحديث أسلوب القصر والتأكيد كما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام: "لا يحبه إلا لله" ليفيد قصر حب المرء على أن يكون لوجه الله وابتغاء مرضاته، فيلتزم فيه طاعته، ويكف عن معصيته".

ثالثا: المجرورات

الإضافة البيانية والمعنوية ودلالتهما

" عن خَزِمَةَ قالت: رأيت النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَعَلَيْهِ اسمالُ مُلَيَّتَيْنِ كَانَتَا بِزَعْفَرَانٍ وَقَدْ نَفَضَتَا"[١٠٢].

الشاهد: "اسمالُ مُلَيَّتَيْنِ"

قال المباركفوري: "جاء جمع سمل بسين مهملة وميم مفتوحتين وهو الثوب الخلق، والمراد بالجمع ما فوق الواحد على أن الثوب الواحد قد يطلق عليه اسمال باعتبار اشتماله على أجزاء، وحينئذ فلا إشكال في إضافته إضافة البيانية إلى مليتين تصغير ملاءة بالضم والمد لكن بعد حذف الألف وهي كما في **النهاية** الإزار والريطة وفي **الصحاح** هي الملحفة"[١٠٣]، وورد في الحديث المذكور (اسمال مليتين) إضافة بيانية، لأن اسمال من جنس ملبية،و تحدث النحويون أن الإضافة بيانية هو

١٠٠- عبدالرحمن بن أبى بكر، **همع الهوامع في شرح الجمع الجوامع**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي (القاهرة: مكتبة التوفيقية،٢٠١٠م) ج٣، ص٢٥٠.

١٠١- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني، **عمدة القاري**، باب علامة الإيمان حب الأنصار (بيروت:دار إحياء التراث العربي) ج١، ص١٥٠.

١٠٢- محمد بن عيسى، **سنن الترمذي**، ج٧، ص٥٦.

١٠٣- المباركفوري، **تحفة الأحوذي**: باب في الثوب الأصفر، رقم الحديث: ٣٠٦٧، ج٨، ص٨٠.

يصح فيه الإخبار بالمضاف إليه عن المضاف، واسهال بعض من مليتين، لأن اسهال معناه هو ثوب خلوقة، ومليتين من تصغير وهي الإزار على ما في **النهاية**.

قال عباس حسن: "إن الإضافة البيانية التي يقصد منها بيان الثاني وإيضاح تفسير ما سبق، وأن يكون المضاف من جنس المضاف إليه، فمثلا "هذا باب خشب وخاتم حديد" والتقدير فيها من البيانية أى خاتم من حديد، ذات يوم، ذات الشمال، ذات مرة وغيرها "[١٠٤].

قال ماهر بن ياسين: "إضافةٌ بيانيةٌ إلى طريق هوَ أولى بالدلالةِ على ذَلِكَ مما مضى فكأنهُ قالَ بالطريقِ الأولى. وأما قولهمْ: بطريقِ الأولى فيدخلُ إلى طريقِ الدلالةِ، أو الإيضاحِ، أو البيانِ الأولى، مما مضى في الدلالةِ على ذَلِكَ الشيءِ"[١٠٥].

قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ، فَجَاءَ رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى أَتَى النَّبِيَّ فَأَلْزَقَ رُكْبَتَهُ بِرُكْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَالقَدرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ[١٠٦]

الشاهد: شَدِيدُ بَيَاضِ الثياب

قال المباركفوري:"شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، بإضافة شديد إلى ما بعده إضافة لفظية مقيدة للتخفيف فقط صفة رجل واللام في الموضعين عوض عن المضاف إليه العائد إلى الرجل أي شديد بياض ثيابه شديد سواد شعره"[١٠٧] .

قال خالد بن عبد الله في **شرح التصريح على التوضيح**: إن الإضافة اللفظية غير المحضة، ويجوز فيها دخول "ال"على المضاف ففيها خمسة مسائل:

المسألة الأولى: المضاف إليه يكون مقرونا بال.

١٠٤- عباس حسن، **النحوالوا في**، ج٣، ص٣٤٥.

١٠٥- ماهر بن ياسين الفحل، **النكت الوفية بما في شرح الألفية للبقاعى** (بيروت: مؤسسة الرسالة) ج٢، ص١٨.

١٠٦- محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**: باب في وصف جبرئيل، رقم الحديث: ٩٠٥، ج٤، ص٣٠٢.

١٠٧- المباركفوري، **تحفة الأحوذي**: باب ما جاء في وصف جبرئيل، ج٧، ص ٢٨٨.

المسألة الثانية: المضاف إليه يكون مضافا لما فيه "ال"

المسألة الثالثة: المضاف إليه يكون مضافا إلى ضمير ما فيه "ال"

المسألة الرابعة: الوصف يكون المضاف مثنى.

المسألة الخامسة: المضاف يكون مثنى أو جمع.

أمّا فيما يخص هذا الحديث فهووفق المسألة الأولى أن يكون المضاف إليه مقرونا بال، وفي هذه المسألة فيكون فيها الصفة المشبهة دالة على التخفيف بحذف الضمير أو الجار والمجرور لأن الأصل في "الجعد الشعر": الجعد شعره أو شعره منه، فلما أضيفت حذف الجار والمجرور بالإضافة أو بالحرف فحصل التخفيف بذلك، إذ لا تنوين مع وجود "ال"، وقرن المضاف إليه بـ"ال" عوضًا عما فاته من الضمير أو من التنوين؛ لأن التنوين و"ال" يتعاقبان على الاسم، فولي المضاف "ال" كما يليه التنوين"[١٠٨].

وفي هذا الحديث لفظة "شديد بياض الثياب" مضاف إليه مقرون بال والإضافة اللفظية مقيدة للتخفيف والتنوين جاء عوضا من "ال" "بياض الثياب" الصفة المشبهة وجاء اللام فيها عوضا عن المضاف إليه فهي "شديد بياض ثيابه" أما الإضافة البيانية فتكون المضاف فيها اسم فاعل أو اسم مفعول أو صفة مشبهة والمضاف إليه معمول ومن نماذجها كاتمُ السّرِّ، ناصرُ الضَّعيفِ، مُوَاسِي المريضِ، مرفوعُ الرأسِ، طيبُ القلبِ، ليّنُ الجانبِ.

قال ابن هشام: "هي عبارة عما اجتمع فيها أمران، أمر في المضاف وهو كونه صفة، وأمر في المضاف إليه وهو كونه معمولا لتلك الصفة، وذلك يقع في ثلاثة أبواب، اسم الفاعل كضارِب زيدٍ، واسم المفعول كمُعْطَى الدينارِ، والصفة المشبهة كحَسَن الوجهِ"[١٠٩].

هذا النوع من الإضافة لا يستفيد منه المضاف تعريفا ولا تخصيصا، فالمضاف لا يتعرف

١٠٨- خالد بن عبد الله الأزهرى، **شرح التصريح على التوضيح**، ج١، ص٦٨٣.

١٠٩- ابن هشام، **مغنى اللبيب**، ج٤، ص٣٨.

بالمضاف إليه وإن كان معرفة، وكذلك لا يتخصص به - بمعنى تقليل إبهامه وتقريبه من المعرفة- بل إن المضاف يبقى نكرة دائما مع هذا النوع من الإضافة.

والدليل على أن المضاف لا يتعرّف في الإضافة اللفظية أنه يقع في مواضع النكرة، ولو استفاد التعريف، ما صح وقوعه في هذه المواضع، ومن ذلك:

أ- وقوعه صفة النكرة، تقول "لي صديقٌ كاتمُ السرِّ طيبُ القلبِ"(١١٠).

"عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَتَى سُبَاطَةَ قَوْمٍ، فَبَالَ عَلَيْهَا قَائِمًا، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءٍ، فَذَهَبْتُ لأَتَأَخَّرَ عَنْهُ، فَدَعَانِي حَتَّى كُنْتُ عِنْدَ عَقِبَيْهِ، فَتَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى خُفَّيْهِ"(١١١).

"(أتى سباطة قوم) بضم السين المهملة بعدها موحدة هي المزبلة والكناسة تكون بفناء الدور مرفقا لأهلها، وتكون في الغالب سهلة لا يرتد فيها البول على البائل، وإضافتها إلى القوم إضافة اختصاص لا ملك لأنها لا تخلو عن النجاسة"(١١٢).

"(ذات ليلة) أي في ليلة ولفظ ذات مقحم، وقال جار الله هو من إضافة المسمى إلى اسمه"(١١٣).

مسألة: هنا مسألة خلافية بين البصريين والكوفيين في إضافة المسمى إلى الاسم.

أولا: مذهب الكوفيين: إضافة الشيء إلى نفسه أو إضافة الاسم إلى نفسه جائز إذا اختلف اللفظان".

دليل الكوفيين:

ويستدل الكوفيون بالآيات القرآنية: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾(١١٤) واليقين في المعنى

١١٠- محمد عيد، **النحو المصفي**، ج١، ص٥٤٨.

١١١- **سنن الترمذي**: باب ما جاء في الرخصة، رقم الحديث: ١٣، ج١، ص٤٦.

١١٢- المباركفوري، **تحفة الأحوذي**: باب النهي عن البول قائما، ج١، ص٥٨.

١١٣- المباركفوري، **تحفة الأحوذي**: باب الرجل يصلي مع الرجلين، ج٢، ص٢٤.

١١٤ - سورة الواقعة، الآية: ٩٥.

النعت فالنعت والمنعوت في المعنى واحد، وكذلك ورد في القرآن الكريم: ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ ﴾[١١٥] دار مضاف إلى الآخرة فهما بمعنى واحد.

ثانيا: مذهب البصريين: إضافة الشيء إلى نفسه غير جائز.

دليل البصريين:

فهم يقولون: لا يجوز إضافة المسمى إلى اسم لأن "الإضافة تفيد التعريف والتخصيص والشيء لا يتعرف نفسه ولو لم يقع فيها معرفة، وإضافته كانت بعيدة من المعرفة فكان مستحيل فيها إضافة الاسم إلى اسمه فلا يجوز فيها إضافة الاسم إلى نفسه إذا كان لفظهما في معنى واحد"[١١٦].

أمّا مذهب المباركفوري فهو يميل إلى الكوفيين القائلين بجواز إضافة الشيء إلى نفسه أو إضافة الاسم إلى مسمى".

نتائج البحث :

١- اكتشف المباركفوري في باب المرفوعات المسائل النحوية عن المبتدأ والخبر ودلالتهما، أمّا من ناحية الدلالة فوجدت أن تقديم الخبر على المبتدأ يأتي أحيانا للاهتمام أو لتشويق السامع، كما ورد في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن... الخ. وأحيانا يكون تقديم الخبر للتخصيص، مثلا: لك الحمد أنت نور السماوات والأرض. وكذلك ورد في الحديث تقديم الخبرلبيان تقديم المسبب على السبب،" بين الكفر والإيمان ترك الصلوة".

٢- ثم تحدث المباركفوري عن دلالة محذوف الخبر فقال "عارية في الآخرة"بسبب الإيجاز أو الاختصار. أحيانا يأتي حذف المبتدأ لدلالة الكلام عليه. مثلا"ثلاثون آية " أي هي ثلاثون آية.

---

١١٥ - سورة الأنعام، الآية: ٣٢.

١١٦- ابن الأنباري، **الإنصاف في مسائل الخلاف**، ج١، ص٢٣.

٣- ذكر المباركفوري الأمثلة للابتداء بالنكرة بدون ذكر دلالتها، واكتشفت الدلالة فيها نحو قول المباركفوري "خصلتان لا تجتمعان "هنا تفيد التخصيص خصلتان تدل على الخصوص ليس أي خصلة.

٤- أمّا تقديم الفاعل المعنوي على عامله فالمباركفوري فيه يوافق مدرسة الكوفيين، حيث إنهم يجوزون تقديم الفاعل على عامله مثلا "وإن أحد من المشركين استجارك". وعامل الفاعل المحذوف هنا "الثلث الثلث" أي يكفيك الثلث الثلث دلالة الكلام على الحذف، أو بسبب الإيجاز.

٥- أمّا تأخير الفاعل فذكر المباركفوري الحديث " دخل قلوبهم منه شيء" هنا لفظ "شيء" مرفوع لكونه فاعلا، و"قلوبهم " بالنصب مفعول مقدم وفاعله مؤخر، فهنا تقديم المفعول للاهتمام.

٦- أمّا حذف الفاعل فيجوز إذا كان الفاعل معلوما أو الخوف منه أو الجهل أو كان مجهولا، وفي هذا الباب الأحاديث كثيرة مما تدل على هذه الرموز البلاغية. حذف الفاعل لدلالة الحال أو السياق عليه (عسى أن يعطى هذا) أى يعطى هذا السيف. فحذف الفاعل للخوف من المشركين أو للعلم به فلا حاجة للذكر، (فيسبوا القرآن).

٧- وتقديم خبر إنّ قد يأتي للعلة أو السببية فوجدت الحديث، (أن له دسما) هنا بيان علة المضمضة من اللبن. أحيانا يأتي تقديم خبر إن للتخصيص (إنّ لي بها الخلد) فهنا تقديم خبر إن للتخصيص. تقديم خبر إنّ قد يأتي للاهتمام بشأن أو الرفعة والمنزلة فعلى سبيل المثال: (إن أدنى أهل الجنة منزلة) أدنى هو الخبر (منزلة) اسما اعتناء بشأن المقدم.

٨- ذكر المباركفوري كلمة (كأنّ) فقط للتشبيه والمبالغة ولكن اكتشفت الدلالات الأخرى، مثلا كونه للتحقيق، أو التقريب، فعلى سبيل المثال (كأنّ الشمس تجري)، جاء كأنّ للتشبيه والمبالغة في بيان حسن الوجه (كأني أنظر إلى رسول الله) هنا كأن للتحقيق أو حكاية الحال

الماضية.

٩- أمّا بالنسبة الأفعال الناقصة فأشار المباركفوري إلى شواهد الأحاديث مثلا (وكن من كان التامة) أى أحدث فيحدث إذا كان لفظة (كان) من الأفعال التامة فدلالتها على الحدث، ولكن إذا كان من الأفعال الناقصة فدلالتها مختلفة من حيث السياق، فأحيانا يأتي للاستمرار، أو الثبوت أو للاستقبال. اختلف علماء الكوفيين والبصريين في تقديم خبر مازال أو كان وأخواتها فيجوز عند الكوفيين واختار المباركفوري قول الجواز في ذلك، واستشهد بالشواهد من الحديث (فقال مازال بكم الذي... الخ) هنا بكم خبر مازال قدم على الاسم هو الموصول بصلة الحديث.

١٠- أمّا بالنسبة للمستثنى فذكرالمباركفوري بعض أمثلة المستثنى المفرغ والمنقطع بدون دلالتها لكن بدا لي فيها من الدلالات كما يلى: المستثنى المفرغ قد يأتي للحصر والقصر كما ورد في الحديث (لا يحبه إلا الله) أي لا يحبه لغرض وعرض وعوض. وأحيانا يأتي استثناء مفرغ تفيد التخصيص، على سبيل المثال: الاهتمام بشأنهم والعناية بتخصيصهم في أفرادهم بالذكر. وكذلك ذكر المباركفوري المستثنى المنقطع واكتشفت أحاديث فيها دلالة، فورد في الأحاديث الاستثناء المنقطع للاستدراك (يارسول الله إلا أن تخبرنا) فيقول المباركفوري: هذا من قبيل الاستثناء منقطع، كأنهم طلبوا بهذا الاستدراك أخباره إياهم.

١١- أمّا في المجرورات فجاء المباركفوري بأحاديث كثيرة فيها الإضافة وهي دالة عليها كما في الحديث (بياض الثياب شديد سواد الشعر) إضافة لفظية مقيدة بالتخصيص، وكذلك الحديث جار الله إضافة المسمى إلى اسمه فدلالتها على التخصيص الجار، وأحيانا إضافة الخبر إلى المفرد يفيد الاستغراق. وفي (أتى سباطة قوم) إضافة للتخصيص، و إضافة المسبب إلى السبب في (صلاة وقت الضحى)، أمّا حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه فاكتشفت فيها دلالات كثيرة.

ذكر المباركفوري المجرورات بالحروف الجارة في ثمانية عشر موضعا، فتحدث فيها عن الدلالة فعلى سبيل المثال (أن الخراج بالضمان) قد جاء هنا الباء للإلصاق.

List of References

Al-Qur'an

1– Abdul Hayee al-hussaini, **al-īʿlām biman fi tārīkẖ al-hind** (dār ibn ḥazam)

2– Abdul Qadir bin Umar, **kẖazānaẗ al-ʾādab wa lub lubāb lisān al-ʿarab** (ālqāhiraẗ: maktbāẗ al-kẖānjī)

3– Abdul Qahir Al-Jurjani, **dalāaʾil al-īʿjāz** (Cairo: dār al-madanī bijadaẗ, 1413 AH)

4– Abdullah bin Yousuf, **mughnī al-labīb ʿan kutub al-ʾāʿārīb**, (Beirut: dār al-fikr , 1985 AD)

5– Abdullah Hussain**, al-salis al-kẖiṭāb ʿala miftāḥ al-īʿrāb**, 1909 AD

6– Abdur Rahman, **hamʿ al-hawāmiʿ fi sharḥ al-jamʿ al-jawāmʿ** (ālqāhiraẗ: maktbāẗ al-taūfīqīaẗ,2010 AD)

7– Abu Hayyan Al-Undlasi, **irtishāf al-ḍarb** (ālqāhiraẗ: maktbāẗ al-kẖānjī)

8– Ahmad bin Mustafa, **jawāhir al-balāghaẗ fī al-baīān wa al-badīʿ** (Beirut: maktabaẗ al-ʿaṣrīaẗ)

9– Ahmad Uthman Al-Dhabi, **sīar aʿlāim al-nubalāʾ**,

10– Ahmad Uthman Al-Dhabi, **tārīkẖ al-islām wa waifaīāt al-amshāhīr** (bīrūt: dār al-gharb al-islāmī 2003m)

11– **al-masāʾīl al-mushkilaẗ al-maʿrūfaẗ biālbaghdādīāt** (maṭbaʿaẗ al-ʿānī al-baghdād).

12– Ayaz bin Mousa, **ikmāl al-muʿalim bifawāʾīd muslim** (Cairo: dār al-wafāʾ-1988 AD)

13– Fazal Al-Samrai**, maʿānī al-naḥū** (Jordan: dār al-fikr)

14– ibn anbārī, **al-inṣāf fī masāʾil al-ẖilāf** (damishq : dār al-ifkr)

15– Ibrahim Al-Samrai, **al-fiʿal zmānuh wa aubnīatuh** (Beirut: Muʾassasat ul Risālah, 1983 AD)

16– Khairuddin bin Muhammad Ali, **al-īʿlām** (Beirut: dār al-ilm lilmalāīīn, 2002 AD)

17– Mahir bin Yasin Al-Fahal, **al-nikat al-wafīaẗ bimā fī sharḥ al-ʾalafīẗ lilubqāʿī** (Beirut: Muʾassasat ul Risālah)

18– Mahmood bin Ahmad Al-Aini, ʿ**umdaẗ al-qārī** (Beirut: dār aiḥīāʾ al-turāṯ al-ʿarabi)

19– Muhammad Abdur Rahman Mubarakpuri, **muqadmaẗ tuḥfaẗ al-ʾāḥwaḏī** (Beirut: Dār ul- Kutub al-ʿilmiyyah, 2010 AD).

20– Muhammad Khair bin Ramdan, **takmilaẗ muʿjam al-mūʾlafīn, wafaīāt** (Beirut: dār ibn ḥazam 1997 AD)

21– Naeem Zo Zo Al-Sakaki, **miftāḥ al-ʿulūm** (Beirut: Dār ul-Kutub al-ʿilmiyyah,1408 AH)

22– Noor u din bin abdul Hadi**, ḥāshīah al-sindi** (ḥalb: maktab al-maṭbūʿāt al-īslāamīaẗ, 1986 AD)

23– Salahuddin, **al-dalāalaẗ wa al-naḥū** (Cairo: maktabaẗ al-ʾāadāb)

24– Tamam Hassan, **al-lughaẗ al-ʿārbīaẗ maʿnāhā wa bināhā** (ʿālam al-kutub, 2006 AD)

25– Uthman bin junai **al-mūṣalī, al-lamʿ fī al-ʿarabīaẗ** (Kuwait: dār al-kutub al-ṯhaqāfīaẗ)

26– Zakiria Bin Muhammad al-ansari**, manḥaẗ al-bāri fī sharḥ ṣaḥīḥ al-bukẖāri** (Riyadh: maktabaẗ al-rushd, 2005AD).